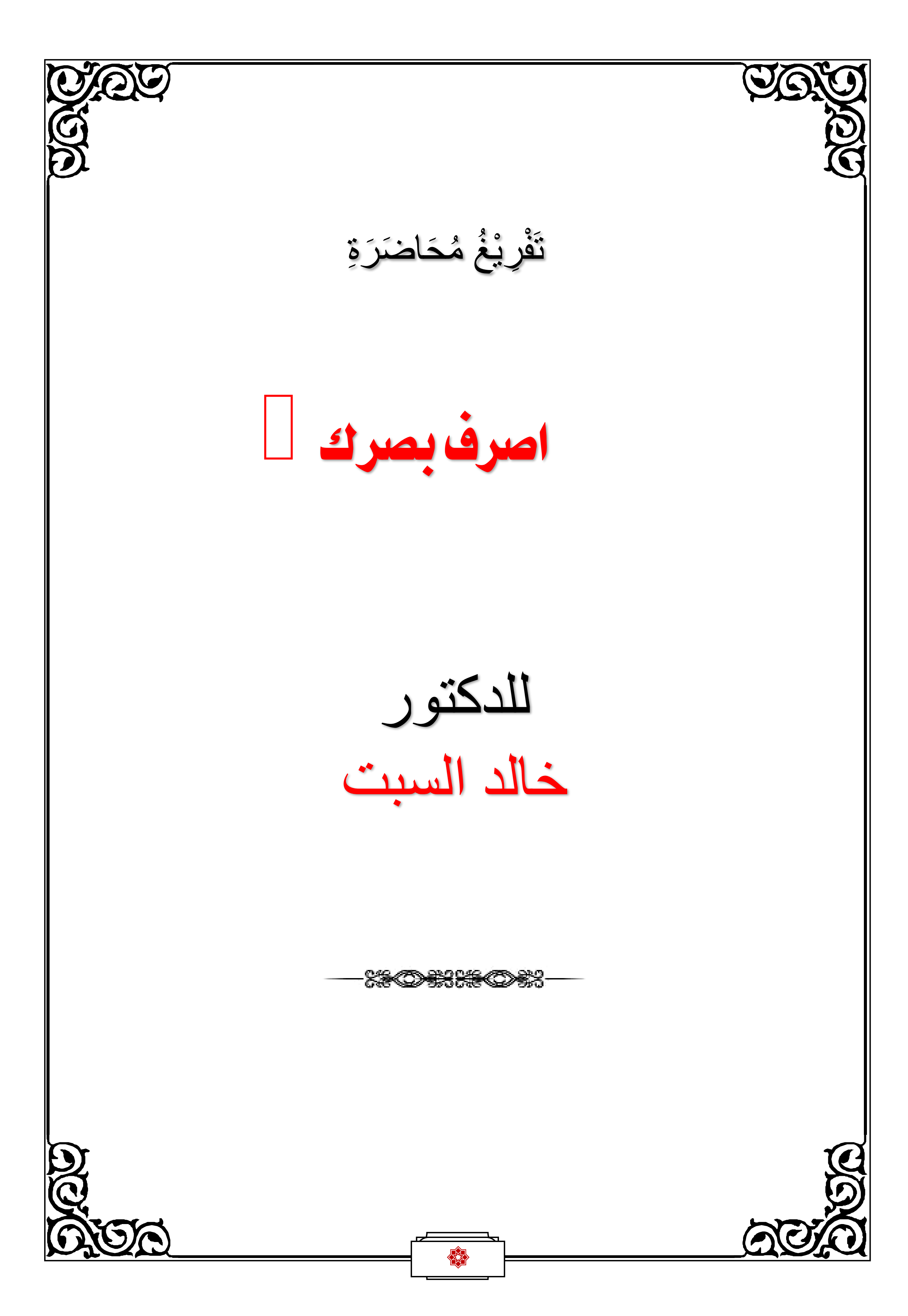
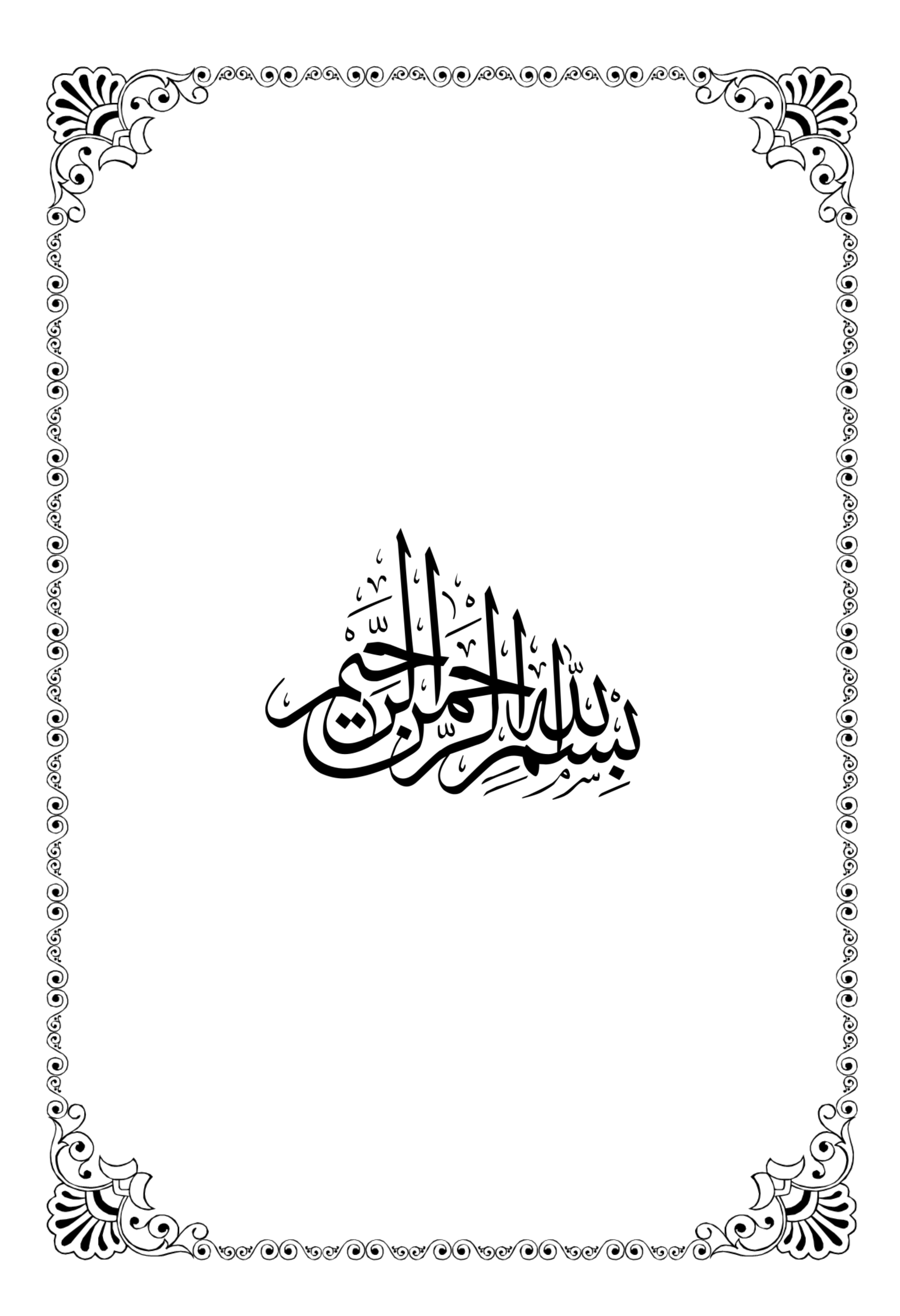


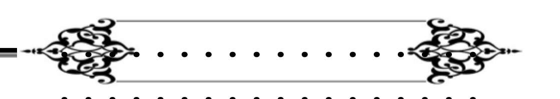
تَفْرِيْغُ مُحَاضَرَةِ

اصرف بصرك

للدكتور

خالد السبت


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه وتستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

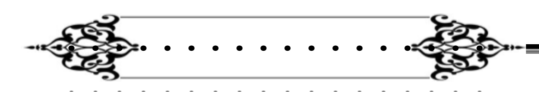
أما بعد: فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته، مرحبا بكم جميعا أيها الأخوة والأخوات، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا المجلس خالصا لوجهه الكريم ومقربا إلى مرضاته، وأن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

في هذه الليلة سيكون حديثنا بإذن الله تعالى انطلاقا من قوله جل جلاله وتقدست أسماؤه: {**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا...**} [النور: ٣٠-٣١] الآية.

هاتان الآيتان ضمن هذه السورة الكريمة سورة النور التي تتحدث في مجملها عن موضوع واحد وهو ما يتصل بالستر والعفاف، هي سورة العفاف بكل ما ينطوي تحت هذه اللفظة من المعاني والصور الداخلة تحت العفاف مما يتصل بالرجل والمرأة، مما يتعلق بالبصر واللسان والسمع وما يتصل بالفرج والستر والعفاف وما تبديه المرأة من زينة وما تخفيه، وما يتعلق بآداب دخول البيوت، كل ذلك وغيره مما ذكره الله ﷻ فيه.

فهاتان الآيتان ذكرهما الله تبارك وتعالى بعدما ذكر قبلها أحكام الزنا والقذف ونهى عن اتباع خطوات الشيطان وذكر ما يتعلق بآداب دخول البيوت من الاستئذان أمر





بعد ذلك بغض الأبصار، {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}؛ لأن هذه المطالب لا يمكن أن تتحقق للفرد والمجتمع إذا أطلق البصر.

حينما يسرح الناس أبصارهم ويقلبونها كما شاءوا وكيف شاءوا فإن ذلك مؤذن لارتكاب القبائح القولية والفعلية كما هو معلوم، فجاء الأمر بعد ذلك بغض الأبصار.

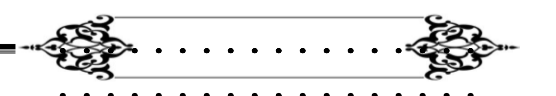
في هذه الآية يأمر الله أهل الإيمان، {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}؛ وهذا أمر من الله، والأمر للوجوب إلا لصارف، فهذا يدل على أن غض البصر عما حرم الله ﷻ واجب من الواجبات؛ لأن الله أمرنا بذلك وجاء ما يدل عليه من سنة رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة، في تصاريف متنوعة كقوله ﷺ: **«لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولا ينظر الرجل إلى عورة الرجل»**.

وإذا كانت المرأة منهية عن النظر إلى عورة المرأة فهي منهية عن النظر إلى عورة الرجل من باب أولى، وإذا كان الرجل منهيا عن النظر إلى عورة الرجل فإنه منهي عن النظر إلى عورة المرأة من باب أولى لأن الفتنة بها أعلق، وكذلك أيضًا لما سأله جرير رضي الله عنه عن نظر الفجاءة قال ﷺ: **«اصرف بصرك»** وهذا أمر والأمر للوجوب، يجب صرف البصر، وصرفه هو غضه المأمور به في هذه الآية.

وكذلك في الحديث الآخر في قوله ﷺ: **«إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر»** فسماه زنا، والزنا حرام، لا يجوز للإنسان أن يقاربه أو يقارفه بأي لون من ألوانه أو شكل من أشكاله أو صورة من صوره، فزنا العين النظر، إذًا يجب غض البصر.

لا يجوز للإنسان أن يطلق بصره، فذلك زنا العين، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: **«يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الأخيرة»** فإن لم تكن له فهي عليه، فدل ذلك على المؤاخذة، إنما الأولى التي تقع من غير قصد وهي المسؤول عنها في حديث جرير رضي الله عنه هي نظرة الفجاءة، فهذه له وأما الثانية فعليه.



بل إن النبي ﷺ نهى عما هو مظنة لذلك كما في نهيه ﷺ عن الجلوس في الطرقات، فلما قالوا له ﷺ: ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، يعني أنهم يجلسون في الطرقات لا بد لهم من ذلك، فقال ﷺ: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، والحق هو الثابت في نفسه، وهذا يدل على الوجوب.

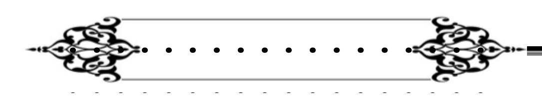
قالوا: ما حقه؟ قال: غض البصر، فذكره أولا، فهذا من حق الطريق، وذلك يعني أنه من حق المارة في الطريق، هذا الحق ثابت، لا يجوز لأحد أن يصادره أو أن ينتهكه فيكون واقعا فيما يستحق عليه العقوبة، وهكذا في قوله ﷺ: «**لا تباشر المرأة المرأة حتى تصفها لزوجها كأنما ينظر إليها**»، إذا كان نقل ذلك للزوج بواسطة الزوجة تنقل له صفة هذه المرأة وتصف له جسدها وجمالها وصورتها فهذا حرام منهي عنه فكيف بنظره إليها مباشرة؟

ثم تأملوا في توجيه هذا الخطاب: **{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}** فوجه الخطاب لأهل الإيمان لأنهم المتأهلون للقبول عن الله وذلك أن إيمانهم يقتضي الاستجابة والانقياد والتسليم وإلا فما معنى هذا الإيمان؟

ثم أيضًا نجد في هذه الآية أن الله تبارك وتعالى قد قدم ذكر الرجال: **{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ}** وفي الآية التي بعدها: **{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ}**، فجاء التقديم للرجال، لقائل أن يقول أن ذلك من قبيل تقديم الأشرف ولكن يمكن أن يقال بما هو أدق من هذا المعنى مما يتصل بالسياق والمقام والموضوع التي تتحدث عنه الآيات وهو أنه قدم الرجال في نهيهم عن النظر إلى الحرام، والأمر بغض الأبصار لكون المرأة عورة، والنظر إليها يدعو إلى الفتنة أعظم من نظر المرأة إلى الرجل، فنظر الرجال إلى النساء أشد في الفتنة من نظر النساء إلى الرجال.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» وقال ﷺ: في أحاديث متعددة ما يدل على أن فتنة النساء هي من أعظم ما يتخوفه النبي ﷺ على الرجال من أمته، «**ما تركت فتنة بعدي هي أضر على الرجال من النساء**»، فإذا





كان الأمر بذلك المثابة فإن ذلك يستحق التقدير، فينهى الرجال أولا عن النظر إلى النساء، فهي موضع شهوة الرجل.

وقد ركب تركيبا غريزيا يدفعه إلى الميل إلى المرأة، وهذا يحتاج إلى مدافعة ومجاهدة، لهذا كان غض البصر ليس بالأمر السهل، إنما يحتاج إلى جهاد لهذه النفس لأنها تطلبه بقوة.

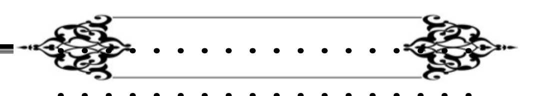
{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} المراد بغض البصر، غضه هو كفه وخفضه، فكل شيء قد كففته فقد غضضته، ولهذا نقول: هذا أمر لا يلحقك فيه غضاضة، يعني لا يلحقك فيه معرة توجب لك أن تغض بصرك حياء وحرجا من الناس، يعني لا يوجب لك ضعة ونقصا وعيبا يجلب لك الانكسار، هكذا يقول الناس، هذا لا غضاضة فيه، يعني لا يؤثر عيبا ولا يجلب معرة ولا يوقعك في شيء فيه حرج. إذًا غض البصر هو خفضه، هو كفه عما حرم الله تبارك وتعالى.

{يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} لاحظوا هنا أنها دخلت من ومن هنا تفيد التبعيض، فدل ذلك على أن ما كل البصر يجب غضه، فمن النظر ما هو مباح ومنه ما يكون قربة لله تبارك وتعالى، ومنه ما يكون محرما، ومنه ما يكون مكروها، فالنظر تارة يكون عبادة وتارة يكون في موضع الإباحة وتارة يكون محرما من المحرمات أو مكروها من المكروهات.

فهنا في قوله تعالى: **{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}** يعني يغضوا أبصارهم عما لا يحل لهم النظر إليه كما قال السلف كقتادة وغيره، يغضوا من أبصارهم عما لا يليق النظر إليه، عما لا يحل النظر إليه، ومن أبيات القحطاني في نونيته الشهيرة: واغضض جفونك عن ملاحظة النسا ومحاسن الأحداث والصبيان، إن الرجال الناظرين إلى النسا مثل الكلاب تطوف باللحمان، إن لم تصن تلك اللحوم أسودها أكلت بلا عوض ولا أثمان.

غض البصر هذا يدخل تحت المأمور به صور وألوان، نغض أبصارنا عن ماذا؟ يدخل فيه غض البصر عن عورات الناس، فإنه لا يجوز النظر إليه، الأمر الثاني: غض البصر عما في بيوت الناس وما أغلقت عليه أبوابهم، وإنما جعل الاستئذان من أجل البصر، وقد جاء عن رسول الله ﷺ ما يبيح فقأ عين الناظر من خلال شقوق الدار أو الباب أو



نحو ذلك، من ينظر خلسه إلى ما بداخل الدور فمثل هذا تكون عينه هدر، يعني لا دية فيها ولا قصاص، ويدخل في ذلك أيضًا غض البصر عما في أيدي الناس من العرض الزائل وزخرف الحياة الدنيا، لا تمتد الأنظار إليه إعجابا به وتطلعا إليه وتشوفا إلى تحصيله.

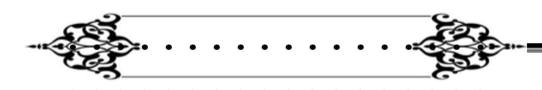
والله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: **{وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** [طه:١٣١] يعني أصنافا منهم، فهذا النظر غير محمود، أن الإنسان يتطلع إلى ما عند الناس، ينظر إلى قصورهم وإلى مراكبهم الفارهة ثم بعد ذلك يورثه ذلك إما تعظيما وإكبارا لهم وهو ما يريدون، أو يورثه ذلك حزنا وحسرة وعسرة في قلبه أنه لا يجد مثل ما أوتيه هؤلاء الناس، والمؤمن لا يكون بهذه المثابة، وسيأتي ما يوضح ذلك إن شاء الله، مع أن هذا النوع من النظر ليس من النظر المحرم.

ويدخل في ذلك أيضًا غض البصر عن النساء الأجنبيات ومن في حكمهن من النظر إلى الصور الفاتنة أو المردان أو نحو ذلك مما يتخوف من النظر إليه من الفتن، وهذا باب واسع، ومن أجله عقد هذا المجلس، أما النظر إلى المردان ونحجو ذلك فهذا لا أريد أن أطيل فيه ولكن أنقل كلام أهل العلم الكثير في هذا الباب في عبارة واحدة قالها شيخ الإسلام رحمه الله تدل على غيرها من كلام أهل العلم سلفا وخلفا.

يقول: الصبي الأمرد المليح بمنزلة المرأة الأجنبية في كثير من الأمور، يعني النظر، الخلوة، اللمس، التقبيل وما إلى ذلك، ويدخل في ذلك مما قد يغفل عنه كثير من الناس الصغيرة إن كانت ممن ينظر إليها بشهوة، قد تكون غير بالغة لكنها تامة الخلق، وقد يكون فيها من الحسن والجمال ما يجذب النفوس إلى النظر إليها بشهوة، فهذا لا يجوز وإن لم تكن بالغة.

بعض الناس يتساهلون في النظر، وربما قدموها في احتفالات وزينوها غاية الزينة ويقولون صغيرة مع أنها تامة الخلق، فهذا لا يجوز بحال من الأحوال، وربما قدموها في قنوات ولربما كانت منشدة بحجة أنها غير بالغة، هذا لا يجوز.



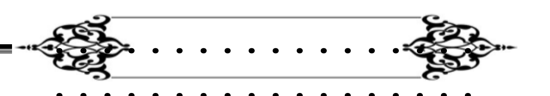


يقول محمد بن شهاب الزهري الإمام التابعي من صغار التابعين، توفي سنة أربع وعشرين ومائة في النظر إلى مثل هذه التي لم تبلغ يقول: لا يصلح النظر إلى شيء منهن ممن يشتهى النظر إليهم إن كانت صغيرة، أما ما يتعلق بالنظر إلى الأمور الأخرى كالنظر إلى ما يؤثر في القلب ويفسده ويشوشه فإن ذلك أيضًا مما يدخل في هذه الآية، كالنظر إلى وجوه أهل المنكر، كالنظر إلى وجوه أهل الفجور والفساد، كالنظر إلى وجوه البغايا، فهذا كله مما يؤثر في القلب، ولهذا كل ما يعرف خبر جريج الراهب لما دعته أمه وهو يصلي فتحير بين صلاته وأمه، فلم يجبها في الأولى ولا في الثانية ثم الثالثة فدعت عليه ألا يموت حتى يرى وجوه المومسات، لاحظوا هذه الدعوة، عقوبة، فوقع له ما وقع من البلية التي تعرفونها، اتهمته تلك المرأة البغي بولد قد ولدته من فجور، فجاءوا إليه وهدموا صومعته وجرجروه، ولما سألهم ذكروا له هذه التهمة، فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله ﷻ ثم جاء إلى هذا الغلام وطعنه بأصبعه وقال: من أبوك؟ فقال: الراعي.

نظر إلى هذه المومس عقوبة، استجابة لدعوة أمه، فكيف بالذي يذهب إلى ذلك اختيارا ويقلب القنوات الفاسدة وينظر هنا وهناك في الشبكة وفي مواقع لا يملك بعدها عقله ولا قلبه ولا إيمانه فيكون في حال لا يحسد عليه من افترام الغريزة وما يحصل من جراء ذلك من تدمير التربية التي تلقاها سنين متطاولة وذلك قد ينساه في تلك السقطة، فقد يقع في أمور لا تخطر له على بال، النظر إلى وجوه المومسات عقوبة فكيف يذهب إليه المرء اختيارا؟ كيف يتطلبه ويصفح تلك الصفحات أو القنوات ينظر في وجوه أولئك الفاسدات، فهذا لا ينبغي أن يقدم عليه العاقل فضلا عن المؤمن، وأهل الإيمان هم أولو الألباب.

وهكذا كل ما يتضرر الإنسان بالنظر إليه تضرر قلبه ويورثه ذلك ألما وعصرة وحسرة من غير فائدة تعود إليه ينبغي أن يصرف نظره عنه وإن لم يكن ذلك من قبيل المحرم، وإنما أذكر هذا من باب أن الشيء بالشيء يذكر، بمعنى أن الإنسان قد ينظر إلى مشاهد مؤلمة من جراحات المسلمين وآلامهم مدمية فيتتبع ذلك ويتطلبه فيرى من الصور



التي تورث قلبه حسرة والما مكا يتسبب عنه في المآل إلى حال من الكآبة واليأس والشعور بالإحباط، الأمر الذي يقعده عن الامتثال لشيء من أمر دينه ودنياه، هذا غير مطلوب شرعا.

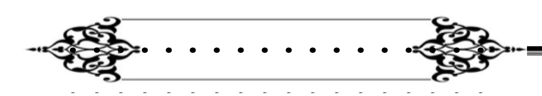
نعم الإنسان يتعرف على حال إخوانه المسلمين ويدعو لهم، لكن ليس هذا يعني أن يتتبع كل صورة وكل مشهد ولو كان هذا المشهد مؤلما غاية الإيلام ثم بعد ذلك يتحسر ويتألم وينعصر قلبه ويتقلب على فراشه تلك الليلة ولا يستطيع أن ينام، لا يستطيع أن يصلي ولا يستطيع أن يذكر الله ﷻ، الشريعة ما جاءت بهذا ولا تطلبه بحال من الأحوال.

وكما قال شيخ الإسلام رحمه الله بأن الحزن غير مطلوب شرعا، فهو إذا تتابع على القلب أفسده وأضعف قواه، فلا انتفع به في عمل الدنيا ولا عمل الآخرة، تجد هذا الإنسان يعاني من كآبة، يعاني من ضيق، أظلمت الدنيا في عينه، وصل إلى حال من اليأس والإحباط، هذا أمر يريده الشيطان، فيكون الإنسان فقيها في النظر، لا تنظر إلى كل شيء، لا تنظر إلى كل مقطع يرسل إليه، هناك مقاطع ربما تتعلق بشيء من الاستهزاء بآيات الله ﷻ، ليس لك النظر إليها، وهذه بلوى ابتلي الناس بها مع هذه الوسائل الجديدة في الاتصال.

{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} يغضوا من أبصارهم عما حرم الله ﷻ كما عرفنا، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ عن ماذا؟ هذه الآية تحتمل معنيين، يحفظوا فروجهم عن نظر الناظرين إليها بالستر والاحتراز، فهذا معنى ذكره طوائف من أهل العلم من السلف فمن بعدهم، به قال أبو العالية وأبو زيد وقال به الإمام الشافعي، يقولون: كل شيء من حفظ الفرج في كتاب الله فهو من الزنا إلا في هذا الموضع، فإنه من النظر يحفظوا فروجهم من نظر الناظرين إليها بالستر، وهذا الذي اختاره كبير المفسرين أبو جعفر بن جرير رحمه الله.

وهذا المعنى صحيح، ولكن القول الآخر وهو حفظ الفرج عن مقارفة ما لا يحل من الزنا وما في معناه، هذا أيضًا يدخل تحت هذه الآية، والقرآن يعبر به بالألفاظ القليلة





الدالـة عـلى المعـاني الكثيرة، فيكـون ذلـك أمـرا مكـن الله تبـارك وتعـالى بحفـظ الفـروج مـن نظـر الناظرين إليها وبحفظها عن مقارفة ما لا يحل، والحافظين فروجهم والحافظات.

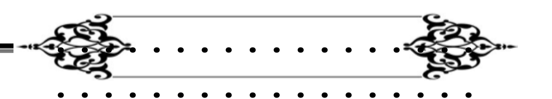
ومـن ثـم فإنـه عـلى المعنـى الأول وهـو معنـى صـحيح يـدخل في الآيـة يكـون توجيـه بـأن الله ﷻ قـد أمـر بغـض الأبصـار عـن النظـر إلى مـا لا يحـل، وفي الوقـت نفسـه لم يـترك الفتنـة طليقـة في المجتمـع تسرـح تحـت دعـوى الحريـة الشخصـية أو غـير ذلـك ثـم بعـد ذلـك يطالـب النـاس بغـض البصرـ والفتنـة تعـرض لهـم في كـل مكـان، لا، الشرـيعة سـدت الطريـق عـلى الشرـ والفتنـة والمنكـر والفسـاد وقطعـت دابـره وأغلقـت أبوابـه، فـالمؤمن مـأمور بغـض بصرـه عـن النظـر إلى الحـرام، وفي الوقـت نفسـه حفـظ الإسـلام المجتمـع مـن أجـل أن يكـون نزيهـا نظيفـا مجتمـع فضـيلة فـلا يبـدي أحـد فتنتـه تعـرض للنـاس في طرقـاتهم وأسـواقهم ومجـامعهم ومـا إلى ذلـك، لا، فـإن أولئـك أيضًـا مـأمورون بالسـتر مـن أجـل ألا يكـون التبـذل سـببا للافتتـان، فكـان ذلـك مـن جهتـين، وهـذا مـن حكمـة هـذه الشرـيعة ومـن محاسـنها، ومـن هنـا توجـد الفضـيلة، تتقلص الرذيلة بسد منافذها وطرقها وأبوابها، مجتمع نظيف، مجتمع نزيه.

ولاحظـوا في هـذه الآيـة أن الله تبـارك وتعـالى قـدم غـض الأبصـار عـلى حفـظ الفـروج، **{يَغُضُّـوا مِـنْ أَبْصَـارِهِمْ وَيَحْفَظُـوا فُـرُوجَهُمْ}** لأن النظـر هـو بريـد الزنـا وهـو رائـد الفجـور والبلـوى كـما سـيأتي، إنـما تتفتـق عـلى المـرء مـن جهـة النظـر، فمبـدأ الشرـ والفتنـة إنـما يكـون مـن هـذا الطريـق، فقـدم الأمـر بغـض الأبصـار عـلى حفـظ الفـروج؛ لأنـه إذا غـض البصرـ أمكـن حفـظ الفـرج، أمـا إذا أطلـق بصرـه فـإن غرائـزه تضـطرب ثـم بعـد ذلـك تـرد عليـه خـواطر السـوء ثم تتحول إلى عزائم ثم يقع فيما حرم الله عليه.

ثـم علـل ذلـك لمـاذا أمـر بغـض الأبصـار وحفـظ الفـروج قـال: **{ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ}** إذا حفظـوا فـروجهم وغضـوا أبصـارهم حصـل لهـم الزكـاة الـذي يكـون منتظـما لأمـرين، فـإن أصـل الزكـاة والتزكيـة يعنـي تطهـير المحـل، فيكـون القلـب نظيفـا زكيـا طـاهرا لـيس فيـه مـن هـذه الأوضـار والأقـذار والمدنسـات ومـا يشـوش فطـره ويـنغص عليـه عيشـه، وذلـك أزكـى







للمجتمع فيكون نظيفا من الرذيلة والفواحش وما تجلبه الفواحش من العلل والأوصاب والأمراض واللقطاء وما إلى ذلك من ضياع الأنساب وتقذير الفروش.

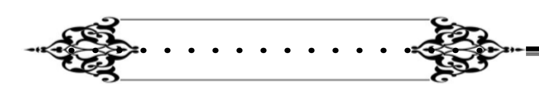
وكما ترون أن الزكاة هنا أطلقت فتحمل على أعم معانيها، أزكى لهم، في نفوسهم، في قلوبهم، في مجتمعهم، من جهة التطهير والزكاة أيضًا يأتي بمعنى آخر وهو النماء، فهنا يكون المحل قابلا وصالحا ينمو فيه الإيمان وتزكو أعمال العبد وإيراداته، يزكو فكره، يزكو قلبه، يكون عامرا بالخير، بالفضيلة، المجتمع يكون عامرا بهذه الأمور.

{ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ} وليس ذلك أزكى للنفوس فقط والقلوب، هو أزكى أيضًا للأبدان لأن هذه الأبدان يصيبها من العلل والأوصاب ما لا يقادر قدره بما يعجز عنه الأطباء من أنواع الطواعين، الإيدز ونحوه، وكذلك ما يوهن البدن ويحطمه عند إطلاق البصر أو معاقرة المنكر والفاحشة، هذا يحطم البدن فتكون قوى الإنسان منهكة وبصره في حال من الكلال والضعف والإجهاد وأعصابه مجهدة وغدده، كل ذلك في طحن مستمر في عافيته، فلا ينتفع بعمل دنيا ولا آخرة، ينوء إذا ما أراد القيام ولو كان فتى قويا معافى، فإن هذه العلل تحطم البدن وتنقل عافيته فيكون في حال من الاعتلال والإجهاد، أزكى لقلوبهم، لأبدانهم، لنفوسهم، لدينهم كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله هذا المعنى، وأن زكاة النفوس تتضمن جميع الشروط، فإذا حصل غض البصر فإن الإنسان يكون قد أقام وحقق سببا أصيلا من أسباب تزكية النفوس، من أراد أن يزكي نفسه قد أفلح من زكاها، زكاها بالإيمان والعمل الصالح، زكاها بحفظها عن كل ما يدنسها، وإطلاق البصر لا شك أنه يحصل به من أسباب التدنيس ما لا يقادر قدره.

من جراء غض البصر ومن إطلاق البصر مفسدة، كل هذا يحصل به ما يدنس به النفوس بخلاف التزكية، نحن نريد التزكية التي يسميها الناس اليوم التربية بشقيها التخلية والتحلية، فهذا هو الطريق، الإيمان والعمل الصالح ومجانبة كل المدنسات، وبنص القرآن: **{ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ}** المجتمع الزكي، النفوس الزكية هم من يحققون هذا، غض





الأبصار وحفظ الفروج، وإن لم فإن ذلك يؤذن بشرور مستطير، ولهذا فإن هذا الباب باب الصبر لا يستهان به إذ هو الباب الأكبر إلى القلب وهو أعمق طرق الحواس إليه، وما أكثر ما يقع السقوط من جهته، الأمر خطير.

... تجني ولا علم عندها وأنفسنا مأخوذة بالجرائر ولم أر أغبى من نفوس عفائف تصدق أخبار العيون الفواجر، ومن كانت أجفانه حجاب قلبه أ... على أحشائه بالفواقر، دخل عليه كل بلية مصيبة فاقرة تفتك بإيمانه وقلبه ونفسه وفكره، فالنظر كما يصفه الحافظ ابن القيم رحمه الله هو أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فالنظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة إرادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بعد ما لم يمنع مانع.

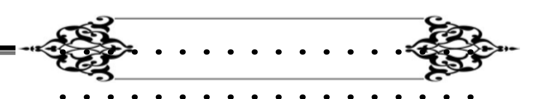
ولهذا قالوا: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده، المتنبي يقول: أنا الذي جلب المنية طرفه ومن المطالب القتيل القاتل، جنى على نفسه، هو قتيل وقاتل، الآخر يقول: فإن لمت قلبي قال لي العين أبصرت ولمت عيني قالت الذنب للقلب، فعيني وقلبي قد تقاسمتا دمي فيا رب كن عونا على العين والقلب، وقد كثرت شكاية الشعراء والأدباء من النظر وإطلاق البصر.

هذا يقول يا عين أنت قتلتني وجعلت ذنبك من ذنوبي إلى أن يقول: تالله أحلف صادقا والصدق من شيم ا... لميزت نوب الزمان من البعيد إلى القريب، ما كنا إلا ما جنت العيون على القلوب، المصاب كلها دون جناية العين على القلب.

فهنا النبي ﷺ لما ذكر في الحديث الذي أشرت إليه آنفا: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة**» فبدأ بالنظر، فالعين تزني وزناها النظر، بدأ بها، ثم قال: واللسان يزني وزناه النطق... الخ، هذا كله بعد ما يحصل النظر، يبدأ يتكلم بالفحش والفجور، واليد تمتد إلى ما حرم الله والرجل، والقلب، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، ومبدأ ذلك جميعا من النظر، ومستفتح باب البلاء بنظرة يزود منها قلبه وحسرة الدهر فوالله ما يدري أتدري بما جنت على قلبه أم أهلكته، فصار نظره هذا عدوا له يجلب له







البؤس والشقاء والعناء، أنا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي، نظر الطرف، يهوى القلب والمقصود حتفه.

فأكثر المعاصي إنما تتولد من فضول الكلام والنظر، هذا اللسان الذي يتحرك ولا يكاد يتوقف بالغيبة والنميمة وما إلى ذلك وإطلاق البصر، وذلك كما قال أهل العلم كابن القيم وغيره أنهما لا يشبعان، يعني أن الإنسان فيما يتصل ببطنه فإنه إذا أكل يشبع ويتوقف، وإذا شرب يحصل له الارتواء، ولا يطلب بعد ذلك الماء أو الشراب، وهكذا، أما اللسان فلا يشبع، ليس له حد ينتهي إليه، والبصر ليس له منتهى.

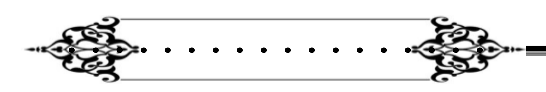
لا يقول إن النظر يتحقق بالنظر إلى صورة أو صورتين أو عشرة أو مائة، بل كل صورة تدعو إلى ما بعدها، فهذا لا حد له ولا حصر له، من هنا كان في غاية الخطورة، مدخل كبير من مداخل الشيطان لا يملأ، لا يشبع، لا يتوقف، لا يسأم بخلاف غيره من الشهوات، فجنايته متسعة تطال القلب والجوارح والأطراف والفرج وما إلى ذلك، جنايته كثيرة الشعب، عظيمة الآفات، لهذا كان السلف يحذرون منه غاية التحذير.

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر، كالنظرة بلغت في قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر والعبد ما دام ذا طرف يقلبه في أعين العين موقوف على الخطر، يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر، ويجه سهامه إلى قلبه فيصيبه في مقاتل، قد قال الحكام: أربع لا يشبعن من أربع، وأول ما ذكروا في هذا العين.

يقول المروزي رحمه الله: قتل أبي عبد الله، وقال: لو ضرب ظهري بالسياط ما دخلت في معصية الله إلا أنه لا يدع المرء، فقال: أي توبة هذه، فإذا كان يطلق بصره فمعنى ذلك أنه يطلب ما وراء ذلك، في كل يوم العيون وقائعه إنسان ... يفهم، لو لم تكن جرحا غداة لقائه ما كان يجري...

ولذلك تجد أن بعض هؤلاء الذين يبتلون بالنظر يصابون في مقاتل، فتجد الواحد منهم يعبر عن نفسه يرسم قلبا جريحا ينزف دما والسهم قد تخلله، هي صورة فعلا معبرة،





هو يصور حاله كما هي، مصاب بهذا السهم وقد جاءه من النظر، والذي صوبه إليه هو صوبه إلى قلبه، إذا كان الأمر بهذه المثابة وبهذه الخطورة فما السبيل إلى حفظ البصر، إلى غضه، إلى امتثال أمر الله ﷻ لنكون محققين لقوله: **{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}**؟

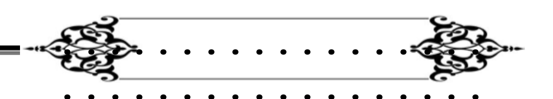
فأول ذلك هو مراقبة الله تبارك وتعالى، وهذا هو الطريق، وهذا هو الذي ينبغي أن نربي أنفسنا عليه وأن نربي أولادنا ومن تحت أيدينا، فإن هذه المنكرات والصور الفاتنة التي تدعو إلى الفاحشة والمنكر والرذيلة أصبحت أقرب من اليد إلى الفم، في متناول الجميع، وأصبحت هذه الأجهزة في يد الصغار والكبار والرجال والنساء والأزواج والزوجات والأجداد والجدات يعكفون عليها في ليلهم ونهارهم، ربما نام الواحد ويده قد صارت متصلبة يابسة على الجهاز، هذا مشاهد، فهو إن سلم مرة قد لا يسلم من الثانية لأنه قد لا يطلب ذلك ولكنه يأتيه من غير إرادة، تأتي مقاطع قرآنية، مقاطع مؤثرة، خطبة وموعظة، موقف مضحك فيفتح عليه فيرى البلاء بجواره، فإذا دعاه الفضول وغفل عن مراقبة الله ﷻ فإنه يفتح بابا من أبواب جهنم.

وما أكثر ما سمعتم بلايا ومصائب ورزايا، رأيتم من يركبون المراكب الصعبة ليتخلصوا ينتقلوا من هذه الحال فلم يستطيعوا، رأيت من يصرح بأنه قد تزوج الثانية وقد أدى ذلك إلى شتات في أسرته الأولى وهو يعلم هذا ابتداء من أجل التخلص من نظر الحرام ابتلي به ثم لم يستطع بعد ذلك بعد التزوج، رأيت من يتمنى الموت، رأيت من يحتقر نفسه لأنه لم يصلح لشيء إطلاقا لا عمل دنيا ولا عمل آخرة وأنه يرى نفسه أنه صار في حال من الرجس والدنس، كل هذا لماذا؟ لأنه صار أسيرا لهذا البلاء، ينظر ثم ينظر ويريد أن يتوب فلا يستطيع، والله ﷻ يقول: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}** [الأنفال:٢٤] **{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ}** قال: **{وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}** [الأنفال:٢٤].

إذا ما استجبت لما أمرك الله ﷻ به وأمرك به رسوله ﷺ فقد يحال بين القلب وبين مراده ومطلوبه من التوبة، يريد أن يتوب فلا يستطيع، يبقى في حسرة، إن بقي في حسرة







وإلا فـإن بعضـهم في سـكرة ولا يشـعر بـالبلاء الـذي قـد مني بـه والمصيبة وحـل بساحة قلبـه، الله ﷻ يقـول: **{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور}** [غافر:١٩]، وربنـا الـذي نتعامـل معـه يعلـم هـذا النظـر خلسـة دون أن يشـعر النـاس، ويعلـم مـا يجـري في الخلـوات، فـإذا كـان لا يخفـى عـلى النـاس فهـو لا يخفـى عـلى الله ﷻ، فخيانـة الأعـين هـي مسـارقة النظـر إلى مـا لا يحـل، هذا من أجلى الصور الداخلة فيه.

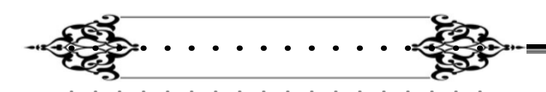
قـد قـال ابـن عبـاس ﵄: هـو الرجـل يكـون بـين الرجـال فتمـر بهـم امـرأة فينظـر إليهـا، وإذا نظـر إليـه أصـحابه غـض بصره، ومـن خائنـة الأعـين النظـر في حـال خلوتـه إلى المشـاهد المحرمـة، هـذا كلـه داخـل في خائنـة العـين، فـإذا تـذكر المـؤمن هـذا المعنـى أن هـذا مـن خائنـة الأعـين وأن الله يـراه وأن الملـك يـراه، إذا مـا خلـوت الـدهر يومـا فـلا تقـل خلـوت ولكـن قـل علي رقيب، ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب.

سـئل جنيـد: بـما يسـتعان عـلى غـض البصرـ؟ قـال: بعلمـك أن نظـر الله إليـك أسـبق مـن نظـرك إلى مـا تنظـر، لـو قيـل لأحـد مـن النـاس أتنظـر لهـذا بحضرـة أبيـك، بحضرـة أخيـك، بحضرـة أمـك؟ بحضرـة أسـتاذك، بحضرـة رئـيس العمـل؟ مـدير المدرسـة؟ فإنـه لا يجـرؤ عـلى هذا، بل لا يجرؤ على هذا أمام طفل صغير، كيف يجعل ربه ﷻ أهون الناظرين إليه.

وأمـر آخـر يتصـل بهـذا المعنـى وهـو الحيـاء مـن الله، إذا كـان الإنسـان يسـتحي مـن النـاس ويسـارق النظـر إلى مـا حـرم الله ﷻ أو يقصـد خلوتـه يخلـو بهـا أو موضـعا لا يـراه النـاس فكيف لا يستحي من الله تبارك وتعالى؟

وأمـر ثالـث وهـو الحيـاء مـن الملائكـة، وإن **{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِين * كِرَامًا كَاتِبِين}** [الانفطـار:١٠-١١] فينبغـي الحيـاء مـنهم، وأمـر رابـع وهـو تربيـة التقـوى في النفـوس، فـإن هـذه التقـوى هـي التـي تحجـز الإنسـان عـن مقارفـة مـا لا يحـل، قـال ابـن دقيـق العيـد: تقـوى الله سـبب لغـض البصرـ وتحصـين الفـرج، وهـذا صـحيح، فـإذا ترحلـت التقـوى مـن القلـب، ومـن أعظـم مـا يرحلهـا مـن القلـب إطـلاق البصرـ وتلـك المشـاهد المنكـرة، فـإن هـذا يغـري بالفاحشـة ويهدم التقوى في قلب صاحبها.





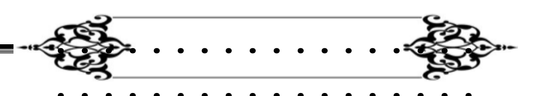
أمـر خـامس وهـو أداء المـأمورات ومـن أعظمهـا الصـلاة، إن الصـلاة تنهـى عـن الفحشـاء والمنكـر، وأمـر سـادس وهـو الإكثـار مـن النوافـل، وكلنـا يعـرف قولـه ﷺ فـيما يرويـه عـن ربـه ﷻ: **«ومـا يـزال عبـدي يتقـرب إلي بالنوافـل حتـى أحبـه»** بعـدما ذكـر التقـرب بـالفرائض، إذا أحبه الله ﷻ قـال: فـإذا أحببتـه كنـت سـمعه الـذي يسـمع بـه، يعنـي لا يسـمع إلا بـما يـرضي الله ومـا يحبـه، وبصره الـذي يبصر بـه، معنـى ذلـك أنـه لا ينظـر إلا إلى مـا أحـق الله النظـر إليـه، فهـذا الـذي ينظـر إلى الفجـور والصـور وأهـل الفجـور، هـذا معنـاه أنـه لم يحقـق هـذا الوصـف فصـار بصره شـاردا ينظـر إلى مسـاخط الله ﷻ، أمـا إذا أحبـه فـإن الله يكـون هـو سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، فإن حققنا هذه المرتبة.

إذا أردت أن تعـرف أنـك حققـت هـذه المرتبـة أو لا انظـر أولا إلى هـذا الأثـر، فصـار بصره نـاظرا إلى مـا يحبـه الله ﷻ، هـل صـار سـمعك مشـتغل بـما يحبـه الله ﷻ، ويـده التـي يـبطش بهـا، الآن أصـبحت ميسـورة لكـل أحـد يكتـب وهـو في بيتـه هـذه الوسـائط والوسـائل مـا يجـده في صـحيفته مـن الوقيعـة في النـاس والشـماتة بهـم والوقيعـة في أعراضـهم قـذف وألـوان القبـائح التي لا يعود ضررها إلا عليه هو، وهذا كله مما يحصل به غض البصر.

أمـر سـابع وهـو المجاهـدة لهـذه الـنفس؛ لأنهـا تطلـب ذلـك وقـد ركبـت فيهـا الغرائـز والشـهوات، يحتـاج العبـد إلى مدافعـة، إلى تـرويض لهـا، الله ﷻ يقـول: **{وَالَّـذِينَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَـعَ الْمُحْسِـنِينَ}** [العنكبـوت:٦٩]، والمجاهـدة أنـواع وأبـواب منهـا مجاهدة النفس.

قـد ذكـر الحـافظ ابـن القـيم رحمـه الله أنهـا أعظـم الأبـواب الداخلـة تحـت هـذه الآيـة، والنبـي ﷺ يقـول: ومـا يتصـبر يصـبره الله، فـبلاء الفتـى موافقـة الـنفس وبـدأ الهـوى وطمـوح العـين يحتـاج الإنسـان إلى تـرويض هـذه الـنفس وتنزيـه هـذا البصر بـأنواع المجاهـدة ينزهـه، في روض المحاسـن ... وأمنـع نفسي أن تنـال محرمـا وأحمـل مـن ثقـل الهـوى ... عـلى الجبـل الصـلد، نفسه تطلب هذه الأشياء لكنه يمنعها ويحجزها.



وأمر ثامن وهو العزم الصادق والإرادة الجازمة على ترك النظر إلى ما حرم الله ﷻ، أن يعزم على حفظ هذا البصر وغضه، وهذا يكون سببا لتسديده وتوفيقه بإذن الله ﷻ، ولهذا جاء عن أنس ﵁ انظروا إلى الحزم، إذا مرت بك امرأة فغمض عينيك حتى تجاوزك، ليس الشجاع الذي يحمي مطيته يوم النزال ونار الحرب تشتعل لكن فتى غض طرفا أو ثنى بصرا عن الحرام فذاك الفارس البطل، هذا لن ينهزم في هذه المعركة، في هذا الجهاد، غض البصر حينما تعرض له فتنة، هذا يحمل نفسا ضعيفة وإرادة ضعيفة قد لا تثبت قدمه في ألوان من الجهاد وميادين أخرى غير هذا الميدان.

وأمر تاسع وهو أن العبد يحتسب ذلك عند الله ﷻ وتكون له فيه نية يتقرب إلى الله ﷻ بغض بصره وصرفه فيكون ذلك سببا في إعانته، فيقوى عزمه على هذا وينتظر ما عند الله تبارك وتعالى بسببه لأنه خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، ومثل هذا موجود فيما ذكره الله ﷻ فإن الجنة هي المأوى.

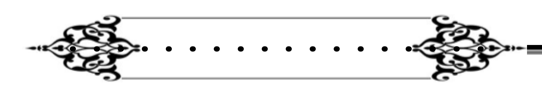
أمر عاشر: أن نستحضر أن هذا البصر نعمة من الله ﷻ، ومن كفران النعمة أن نصرفها وأن نستعملها فيما يسخط المنعم ﷻ، هذه نعمة تحتاج إلى شكر وليس من شكرها بحال من الأحوال أن نطلقها في حرام، والله يقول: **{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ}** [النحل:٥٣].

الحادي عشر: يتذكر المؤمن ما أعده الله ﷻ للمؤمنين الصابرين المتقين من الروضات والجنات والحور العين وما إلى ذلك، فالحياة كلها من أولها إلى آخرها صبر ساعة، وإذا تصبر تجاوز هذه المحنة.

الثاني عشر: التزوج طلبا للعفاف كما قال النبي ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض لبصره وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**.

الثالث عشر: تذكر عواقب إطلاق البصر من الرزايا والبلايا والمصائب والآثام والأوزار وضيق الصدر وما إلى ذلك من الحصاد المر الذي سنشير إليه بعد قليل.





الرابع عشر: تذكر فوائد غض البصر وسيأتي ذكر جملة منه.

الخامس عشر: ترك فضول النظر؛ لأن فضول النظر يقوده إلى الحرام وينظر إلى ما لا يعنيه وإلى أمر لا تنفعه ولا تعود عليه بعائدة يرجيها في الدنيا أو في الآخرة، أمور نافعة فيعرض عن هذا يكون ذلك سببا لترك النظر إلى الحرام.

السادس عشر: البعد عن مواطن الفتن، لا تعرض نفسك للفتنة، فقد قيل: من عرض نفسه للفتنة أولا لم ينج منها آخرا، هنا لا يتعرض الإنسان إلى موارد العطب وأسباب البلاء فإنه قل أن يسلم مقارف الفتنة، وكما أن الحذر مقرون بالمجالس، فكذلك التعرض للفتنة مقرون بالعقل، والنبي ﷺ قد قال: **«خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها، وشر صفوف الرجال آخرها وخيرها أولها»** وهذا لأجل المباعدة عن الفتنة، الصف الأخير من الرجال يكون أقرب إلى صف النساء، صف النساء الأول يكون أقرب إلى الرجال، الفتنة قريبة، فصار الصف الأول الذي هو أفضل في حق النساء صار مفضولا، صار شر صفوف النساء، مع أن النساء لو صلين في مصلى مستقل لا يراهن الرجال ولا يطلعون عليهن فإن الصف الأول أفضل في حقهن كما قال النووي وغيره، لكن كان ذلك هو الأشر في حقها لأنه يلي صفوف الرجال.

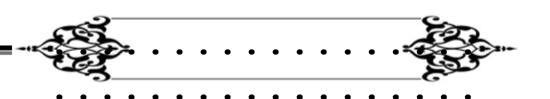
إذا كان هذا في صفوف الصلاة وربما خلف رسول الله ﷺ في أحب البقاع إلى الله فكيف بمقاربة الفتنة في الأسواق أو في مواقع فاسدة وسيئة؟

السابع عشر: ينبغي للعبد أن يسأل نفسه وأن يراجعها ماذا تستفيد من إطلاق البصر إلا العذاب والشقاء والألم والحسرة والنكد، لو أن الإنسان راجع نفسه فيما مضى من أيامه ولياليه وفي أعوامه السابقة حينما نظر إلى ما حرم الله ﷻ ماذا جنى؟ إنما هي جنايات توجب له فساد القلب والآلام المتنوعة في قلبه وبدنه على حد سواء.

إذًا ما يستقبل المرء في أيامه ينبغي أن يلاحظ فيه هذا فيكون ذلك سببا بالإعراض والترك والتوبة.







الثامن عشر: أن يستحضر أن النظر لتلك الوجوه هو نوع عقوبة كما ذكرنا في خبر جريج الراهب.

التاسع عشر: أن يتضرع العبد إلى الله وأن يسأله أن يخلصه وأن ينجيه لأن الفتنة بهذا مستطيرة وهي في غاية الدنو والقرب من كل أحد، يحتاج العاقل أن يتضرع إلى ربه ﷻ ولا يسلم إلا من سلمه ربه جل جلاله وتقدست أسماؤه.

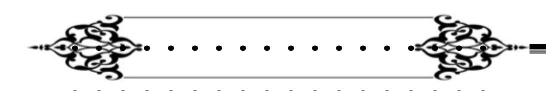
العشرون: الإخلاص، فإن الإخلاص يكون سببا لتخليص صاحبه كما قال الله ﷻ عن يوسف ﵇ لما استعرضت له الفتنة في أجلى صورها قال الله ﷻ: **{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ}** [يوسف:٢٤]، وفي قراءة أخرى: **{الْمُخْلَصِينَ}**، فالإخلاص سبب للخلاص، فإن علم الله ﷻ من العبد الصدق والإخلاص فإن ذلك يكون سببا في تنجيته من هذه البلايا والأوزار.

إذا عرفنا هذه الأمور التي من شأنها أن توصلنا إلى حفظ البصر وغضه بعد ذلك نشير إلى جملة ثمرات غض البصر ليكون ذلك داعيا إلى حفظه، فإن معرفة هذه المنافع والفوائد والثمار كل ذلك يقوي قلبه ويرغب النفوس في تحقيق هذا المطلوب.

أول ذلك: نور البصيرة، فهذه البصيرة التي تكون في القلب هي نور وإشراق، هذا النور والإشراق يقوى ويضعف، يقوى حتى يظهر على الوجه، يظهر على الجوارح، وإطلاق البصر يورث ظلمة في الوجه وعلى الجوارح وتكون في القلب، ولهذا ذكر الله ﷻ آية النور: الله نور السماوات والأرض بعد هذه الآيات التي يأمر بها بغض البصر كما قال شيخ الإسلام وغيره: بأن من كف بصره عما حرم الله ﷻ عوضه الله نور البصيرة.

مثل نوره القلب المؤمن، هذا النور الذي يكون في قلب المؤمن يشرق معه القلب وتنفتح معه البصيرة، فالله يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، فإذا غض بصره عما حرم الله ﷻ عوضه الله ﷻ من جنسه بما هو خير منه فيطلق نور بصيرته، هذا ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله وذكر نحوه جماعة الشيخ عبد الرحمن بن السعدي قد ذكر جمع من أهل العلم قبل هؤلاء وبعدهم أشياء في هذا المعنى كما جاء عن أبي الحسين الوراق: من





غض بصره عن محرم أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدي بها ويهدي بها إلى طريق مرضاته.

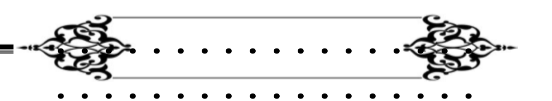
أمر آخر يتصل بإشراق القلب ونور البصيرة وهو صحة الفراسة فإنها لا تصح وتكتمل إلا بالتقوى، إذا أشرق القلب واستنارت بصيرته فإنها من جملة النور أو أنها أثر من آثاره كما لا يخفى، هذا القلب في حال إشراقه كالمرآة حينما تكون ... وإطلاق البصر كالنفس في هذه المرآة يشوشها.

ثم بعد ذلك لا يرى هذا الإنسان الأشياء على حقيقتها، وهذه مشكلة، يرى الأشياء مشوهة، لا يبصر ما يبصره المبصرون أصحاب البصائر والقلوب المشرقة، وقد تنطمس هذه المرآة بالكلية فلا يرى فيها الأشياء أصلا، هذه مثل هذه النظارة يرى فيها الأشياء إذا كانت... وقد تتكدر حتى لا يرى الأشياء على ما هي به، فيزين له الباطل والمنكر ولا يرى قبحه، وقد يرى الحسن قبيحا فتقلب بصيرته نسأل الله العافية، **{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}** [الأنعام:١١٠].

لما تتقلب البصائر والأفئدة والقلوب يبقى الإنسان يتخبط ويتأرجح بين أنواع الشرور والمنكرات وهو لا يبصر ذلك، بل قد لا يشعر حتى يلقى الله ﷻ ثم بعد ذلك يندم ولا ينفعه الندم.

أمر ثالث من هذه الثمرات: أنه يخلص القلب من سلطة الشهوة وركدة الغفلة، فإن إطلاق البصر هكذا وتسريحه في كل ما حرم الله ﷻ يوجب له غفلة مستديمة، وقد قال شيخ الإسلام بأن التعلق بالصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب... يصير هذا الإنسان لا يعقل، ولذلك انظروا إلى الذين يتعلقون بالصور فيحصل عندهم العشق، رجل أو امرأة أو نحو ذلك تجد هذه الفتاة أو هذا الشاب يجلس مع الناس وبصره شاخص ووجهه شاحب ثم بعد ذلك يسري من قلبه إلى وجهه وبدنه وعروقه ومفاصله كما قال بعضهم: وللحب آيات تبين بالفتى شحوب وتعرى من يديه أصابع، شحوب، ذبول، بصر شاخص لا ينتفع به عمل دنيا ولا عمل آخرة.



فانظروا إلى أخبار أولئك أخبار العشاق، مجنون ليلى وغيره كيف كانوا ... بالعقل، كل هذا مبدأه من إطلاق البصر.

أمر رابع من هذه الثمرات يفتح له طرق العلم ويسهل عليه أسباب لأن البصيرة مفتوحة، القلب ليس فيه ما يشوشه ويشغله فاستنار فتظهر فيه حقائق المعلومات وتنكشف له بسرعة ويرتبط بعضها ببعض والعلم نور ولا يصلح إلا في هذا القلب المستنير، أما القلوب المشوشة المشغولة هذه لا تجمع من العلم شيئا، لا تحصل منه... قلبه مشغول بأشياء أخرى، قلبه مشوش لا يستطيع أن يحفظ حرفا واحدا.

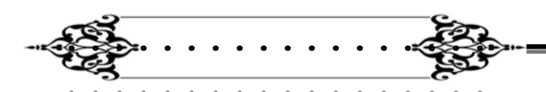
أمر خامس: أنه غض البصر يورث قوة القلب، يورث ثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة بخلاف هذا الإنسان المهزوز.

أمر سادس: أنه يورث القلب سرورا وفرحا وانشراحا أعظم من تلك اللذة والسرور التي يجدها من نظر إلى ما حرم الله تبارك وتعالى.

لذة ... لذة الطاعة، لذة كبح جماح النفس وما فيها من الشهوات المضطرمة فهذه لا يعادلها لذة، ولهذا قالوا بأن من ذم نفسه وغلب هواها أعقبه ذلك فرحا وسرورا ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى، وغض عن المحارم منك طرفا طموحا يفتن الرجل اللبيب، فخائنة العيون كأسد غاب إذا أهملت وثبت وثوبا، ومن يغدو فضول الطرف عنها يجد في قلبه روحا وطيبا، يجد راحة ولذة وسرور، أما إطلاق البصر كما سيأتي في الحصاد المر حسرة وألم، يتلذذ لحظات لكن بعدها وحشة يجدها كل أحد يطلق بصره فيما حرم الله تبارك وتعالى.

أمر سابع: وهو أن ذلك يخلص القلب من ألم الحسرة، فمن أطلق نظره دامت حسرته، ولا شيء أضر على القلب وأجلب للحسرات من إطلاق البصر، الذين يعانون من عشق ووحشة ومن كآبة يذهبون هنا وهناك، متنزهات مطاعم يسهر كل ليلة في موطن مع الرفاق ومع الأصحاب لكنه ينقل معه نفسا تملؤها الوحشة لأن السبب مستحكم وموجود، سبب هذه الوحشة، هو لم يتخلص منها ولا يمكن أن يحصل الاستروح بنعيم





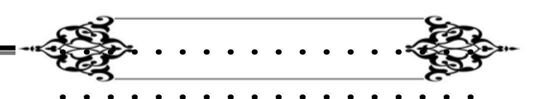
الجسد، إنما يحصل ذلك بنعيم القلب الذي يكون بتقوى الله تبارك وتعالى بحفظ القلب والجوارح عن مساخط الله، فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب كلفة الطلب والإرادة، ومن أطلق لحظاته دامت حسراته، فإن النظر يولد المحبة، تبدأ هنا السلسلة الطويلة إلى أن تصل إلى درجة أن يكون الإنسان متيما معبدا، ولعلكم سمعتم بعض الأخبار التي تنشر في بعض الصحف المواقع هنا وهناك، ومن الأخبار التي لعله اطلع عليها كثيرون منا أدركوا ذلك خبر ذلك الشاب الذي انتظر طويلا محبوبته التي تأخرت عليه فلما وصلت خر لها ساجدا، وأما أخبار المحتضرين وما كانوا يقولونه في لحظات الاحتضار بدلا من قول لا إله إلا الله، فهذا تجدونه فيمن تكلموا عن الخاتمة من أهل العلم وذكروا من أحوال هؤلاء المبتلين أشياء مظلمة وعجيبة، كل ذلك كان مبدؤه إطلاق البصر.

أمر ثامن من هذه الثمرات: أنه يخلص القلب من أثر الشهوة، فلا يكون مستعبد، فإن هذا هي العبودية الحقيقية، الحرية الحقيقية كما قال شيخ الإسلام هي حرية القلب، ولو كان الجسد أسيرا والعبودية الحقيقية والرق الحقيقي هو رق القلب ولو كان الجسد طليقا، فلماذا يضع الإنسان قلبه في أسر شهوة بسبب نظرة؟

فالعين هي مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته كما يقول ابن القيم، وإذا أطلق البصر أطلق القلب شهوته، هذه بهذه، نتائج متتابعة.

أمر تاسع: أن غض البصر يكون سببا لحفظ الدين، وقد قيل: من حفظ أربعة أحرز دينه، اللحظات مضت والخطرات، لأنها تبدأ خواطر ثم تتحول إلى أفكار، وتتحول إلى عزائم، ادفع الخطرات السيئة، امسك هذا البصر، لا تتكلم إلا بما يرضي الله، دعك من الفحش والسباب والشتائم واللعن والقبائح والوقيعة في أعراض الناس، اشتغل بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.



ذكر الله يحيي القلب، وذكر الناس يفسده ويميته، ودعك من التأويلات التي تقودك إلى كل محظور، فهذه الأبواب الأربعة إذا حرسها الإنسان وربط على ثغورها فإنه ينجو بإذن الله ﷻ وإلا دخل عليه الشيطان فيجوس خلال الديار ويتبر ما علا تتبيرا.

والنبي ﷺ يقول: «**اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة**» وذكر منها: وتحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم.

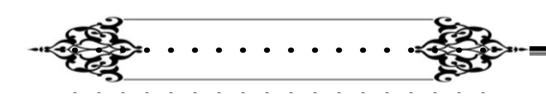
أمر عاشر من هذه الثمرات: أنه يورث محبة الله ﷻ، قال مجاهد رحمه الله: غض البصر عن محارم يورث حب الله.

الحادي عشر: أن ذلك يسد على الشيطان مداخله إلى القلب، فبين العين والقلب منفذ طريق يوجب انتقال أحدهما إلى الآخر، فإذا صلح القلب صلحت العين وإذا صلحت العين أدى ذلك إلى صلاح القلب. أطلق بصره يفسد القلب، القلب يكون فاسدا العين سترسل إلى الحرام لأنها من رعايا هذا القلب.

الثاني عشر: يفرغ القلب في الفكرة إلى مصالحه والإقبال عليها فلا يبقى القلب مفرقا مشوشا.

أما الحصاد المر فحدث ولا حرج، فمن ذلك فساد القلب، رماني بها طرفي فلم تخطي مقلتي وما كل ما يرمى تصاب مقاتله، فهنا إطلاق البصر سهم يصيب هذا القلب، وابن القيم يقول: من العجب أن لحظة الناظر سهم لا يصل إلى المنظور إليه حتى يتبوأ مكانا من قلب الناظر، إذًا لا ترسل هذا السهم لأنه لا يصل إلى الهدف المنظور إليه حتى يتبوأ مكانا من قلبك، فارفق بهذا القلب، هو سهم لا ترم به، هو أعجب من ذلك أن النظرة تجرح القلب جرحا فيتبعها جرح على جرح ثم لا يمنعه ألم الجراح من استدعاء تكراره وتتابع الجوارح وتتكسر النصال على النصال كنظرة فتكت بقلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتد.





يقـول خالـد بـن أبي عمـران: إن الرجـل لينظـر نظـرة فينغـل قلبـك كـما ينغـل الأديـم فيسـفد قلبـه حتـى لا ينتفـع بـه، النظـرة داعيـة إلى فسـاد القلـب، ولهـذا قـالوا: النظـر سـهام سـم إلى القلب، أبدا جنايات العيون بحرها يصنى الفؤاد.

الشـأن في هـذا السـهم أنـه يسـري في القلـب فيعمـل فيـه عمـل السـم الـذي يسـقاه المسـموم كـما يقـول ابـن القـيم، فـإن بـادر واسـتفرغه وإلا قتلـه، والنظـرة تفعـل في القلـب مـا يفعلـه السـهم في الرميـة، فـإن لم تقتلـه جرحتـه، يقـول هـي بمنزلـة الشرـارة مـن النـار ترمـى في الحشـيش اليـابس، فـإن لم يحرقـه كلـه أحـرق بعضـه، يـا مـن رأى سـقمي يزيـد وعلتـي تعيـي ... فـلا تعجـبن فهكـذا تجنـي العيـون عـلى القلـوب، هـذه أمـور مترابطـة ومتلازمـة، فـإطلاق البصرـ يلـبس القلـب ظلمـة ولا بـد، يعميـه عـن التمييـز بـين الحـق والباطـل، مـا زالـت اللحظـات تغـزو قلبه حتى تشحط بينهن قتيل، فأكثر فساد القلب من تخليط العين.

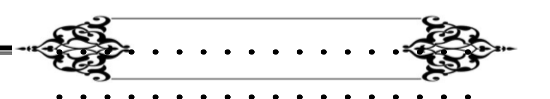
الأمـر الثـاني مـن هـذه الثمـرات المـرة: أن يفقـد الإنسـان حـلاوة الإيـمان ولـذة العبـادة والخشـوع فيكـون قلبـه ممتلئـا بالوحشـة والقلـق والكآبـة والضـيق، سـماعا يـا عبـاد الله منـي وميلوا عن ملاحظة الملاح فإن الحب آخره المنايا وأوله شبيه بالمزاح.

أمـر ثالـث مـن هـذا الحصـاد المـر: هـو أنـه بريـد الزنـا كـما عرفنـا، فهـو أصـل الـبلاء والشرـ والفتنـة يجـر إلى هـذا الهـلاك والمنكـر العظـيم الـذي قـال الله ﷻ عنـه: **{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلا}** [الإسراء:٣٢]، هذه النهاية، فاحشة وساء سبيلا.

الرابـع: أنـه أصـل الشرـور، فهـو السـبب كـما قـالوا النظـر بـالعين سـبب الحنـين وهـو قـوس إبلـيس الـذي إذا ضرب بـه لم يخطـئ، ومـا حفـظ أحـد بصرـه إلا حفـظ الله قلبـه، وقـالوا: من أرسل طرفه افتضحته إلى غير ذلك من عبارات الحكماء والعلماء.

أمـر خـامس مـن هـذا الحصـاد المـر: أنـه يـورث الحسرـات والظفـرات والحركـات فـيرى مـا لـيس بقـادر عليـه ولا صـابر عـن بعضـه، وهـذا مـن العـذاب الـذي يمنـى بـه القلـب، أن تـرى مـا لا صـبر لـك عـن بعضـه ولا قـدرة لـك عـلى بعضـه، وكنـت متـى أرسـلت طرفـك رائـدا



لقلبك يوم أتعبتك المناظر، رأيت الذي لا كله أن قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر، فهذا كله من جرائه.

قال بعض السلف: إن النظر يزرع الشهوة في القلب، ورب شهوة أورثت حزنا طويلا، وجاء عن الحسن: من أطلق طرفه طال أسفه، وقال آخر: اللحظات تورث الحسرات، أولها أسف وآخرها تلف، فمن تابع طرفه تابع حتفه، متيم يرعى نجوم الدجى يبكي عليه رحمة عادلة، عيني أشاطت بدمي في الهوى فك قتيلا بعضه قتيل.

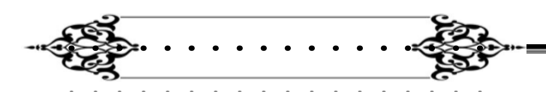
جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: ما كان من نظرة فإن للشيطان فيها مطمعا، وقال: من أطلق طرفه كان كثيرا أسفه.

أمر سادس: وهو سبب للانتكاسة، انظروا إلى هذه الوقائع والأمثلة، هذا ذكر ابن الجوزي رحمه الله في كتابه ذم الهوى عن رجل اجتاز بباب امرأة نصرانية فرآها فهويها من وقته، حاصل الواقعة: أن هذا الرجل تعلق بها وأحبها حبا شديدا، حتى أضناه هذا العشق والحب، وهي قد تعلقت به فأضناها ذلك، فكانت أمه تأتيه وهو في حال المرض ولا يجيبها ولا يكلمها، فكلمت واحدا من أصحابه فجاء إليه وقال إن فلانة -يعني معشوقته- قد أرسلت لك برسالة مع أمك، ففرح واستبشر، فجاءت أمه جلس يتطلع إلى ما يقول، فجلست تحدثه حديثا لا حقيقة له، فاشتدت علة هذا الرجل ثم قال في الأخير عند احتضاره يرجع عن دين محمد ويقول عيسى ومريم والصليب الأعظم.

هو يقول بيت بضمير المتكلم لا أستطيع أن أذكره بهذه الصيغة لكني غيرت فيه بطريقة الغائب، يقول: يرجع عن دين محمد ويقول عيسى ومريم والصليب الأعظم، الرجل مات، فذهب صاحبه إلى تلك المرأة وجدها معتلة مريضة في حال شديدة فقالت: هو قد قال بأنه لم يحظ بها في الدنيا فأراد أن يلقاها في الآخرة ولو في النار فقال مثل هذا الكلام.

فلما ذهب صاحبه إلى تلك المرأة وجدها في حال من المرض والاعتلال فجعل يحدثها فقالت: أنا ما لقيت صاحبي في الدنيا وأريد أن ألقاه في الآخرة فأنا أشهد أن لا إله





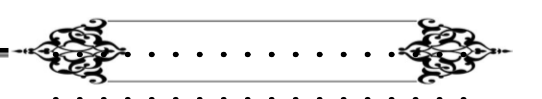
إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأنا بريئة من دين النصرانية، تريد أن تلقاه في الآخرة لأنه مسلم، تظن أنه مات على إسلامه، فقام أبوها فقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل فقالت: مكانك، وقف ساعة ثم بعد ذلك خرجت نفسها.

الرجل تنصر وهي نطقت بالشهادتين كل هذا من صرعى الموت، إطلاق البصر، وهذا أيضًا ذكره ابن الجوزي عن رجل كان ببغداد يقال له صالح المؤذن، أذن أربعين سنة وكان يعرف بالصلاح، صعد يوما إلى المنارة يؤذن فرأى بنت رجل نصراني كان بيته بجانب المسجد، فافتتن بها فجاء وطرق الباب، قالت: من؟ قال: أنا صالح المؤذن، فتحت، فلما دخل ضمها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات، ما هذه الخيانة؟ قال: إن وافقتي على ما أريد وإلا قتلتك، فقالت: لا، إلا أن تترك دينك، قال: إنه بريء من دين الإسلام ومما جاء به محمد ﷺ، ثم دنا إليها قالت: إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك، فكل من لحم الخنزير، فأكل، قالت: اشرب من هذا الخمر فشرب، فلما دب به الشراب -يعني سكر- قالت اصعد إلى السطح حتى يأتي أبي، وأغلقت على نفسها بابا، فالرجل صار يمشي على سطح داره وهو سكران فوقع فكان حتفه في هذا السقوط. فجاء أبوها فأخبرته الخبر فلفه في ثوبه ثم ألقوه في قارعة الطريق، ثم انتشر خبره بعد ذلك فرمي في مذبلة، هذا ذكره ابن الجوزي

ذكر الحافظ ابن كثير في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائة خبر رجل يقال له عبده بن عبد الرحيم، يقول ابن كثير: قبحه الله، ثم ذكر خبر هذا الشقي أنه كان من المجاهدين في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون في حال حصار لبلدة من بلاد الروم نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها، ما السبيل إلى الوصول إليك؟ قالت: أن تتنصر وتصعد إلي، فأجاب، ثم راح المسلمين إلا وهو عندها فاغتم المسلمون بسبب ذلك، فشق عليهم.

الشاهد أن الرجل تنصر وتزوجها وصار له ذرية منها، فلقيه بعضهم بعد حين فقال له: ما صنعت في هذه؟ ما فعل القرآن، ما فعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أني نسيت



القرآن كله إلا قوله: **{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُون}** [الحجر:٢-٣].

سابعا: اعتلال البدن، الأطباء ذكروا أشياء ودراسات وهذا أمر مشاهد مما يحصل لخلايا الدماغ بسبب النظر إلى الصور الإباحية ما يحصل للغدد في الجسم، ما يحصل للذاكرة، أعراض الشيخوخة المبكرة، ضعف جهاز المناعة، الإثارة الدائمة لجميع خلايا الجسم، يبقى الإنسان في حالة من التوهج والتوتر، جسد مستفز منهك القوى لأنه دائم الاستفزاز، ومن ثم هذا يؤثر عليه عاجلا وآجلا وبعد الزواج إلى غير ذلك مما هو معلوم.

بعد ذلك أقول: ينبغي أن نعالج مثل هذا الأثر بما ذكر النبي ﷺ، إذا نظر الإنسان إلى محرم، يقول النبي ﷺ: **«أن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها»**.

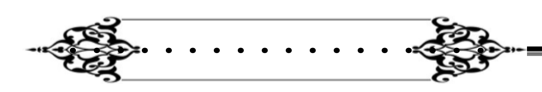
أذكر لكم بعض النماذج، نماذج مشرقة في غض البصر، في نماذج قديمة ونماذج معاصرة، هذا وكيع يقول: خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد، انظر ماذا يوصي به أصحابه، إن أول ما نبدأ به في يومنا غض أبصارنا، لأن النساء يخرجن في العيد، وكان الأسود بن مكتوم إذا مشى نظر إلى قدميه، فربما استقبله النساء، فيقول بعضهن لبعض لا ... قامة الأسود بن مكتوم إذا مشى نظر إلى قدميه، لا ينظر إليكن.

عمرو بن مرة يقول: نظرت إلى امرأة فأعجبتني فكف بصري فأرجو أن يكون ذلك جزائي، نظر إلى امرة فأعجبته بحجابها، فكيف بالذي ينظر إلى مشاهد نسأل الله العافية.

وكيع بن الجراح يقول: مررت مع سفيان الثوري على دار مشيدة فرفعت رأسي إليها، فقال: لا ترفع رأسك تنظر إليها، إنما بنوها لهذا، هذا في النوع الآخر في البصر من النظر إلى عرض الحياة الدنيا وإلى زخرفها الزائل.

انظر إلى الربيع بن خثيم رحمه الله كان آية في غض البصر، مر به نسوة فأطرق حتى ظن النسوة أنه أعمى فتعوذن بالله من العمى، حسان بن أبي سنان خرج إلى العيد فقيل له





لما رجع: يا أبا عبد الله: ما رأينا عيدا أكثر نساء منه، فقال: ما لقيتني امرأة حتى رجعت، هو لم ير امرأة أصلا لأنه كان يغض بصره، هذا الرجل له شأن عجيب، خرج يوم عيد، فلما عاد قالت له امرأته: كم من امرأة حسناء قد رأيت؟ فقال: والله ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت إلى أن رجعت.

ابن مسعود ﷺ دخل على مريض يعوده ومعه قوم وفي البيت امرأة فجعل رجل من القوم ينظر إليها، قال له ابن مسعود: لو انفقأت عينك كان خيرا لك، تنظر إلى امرأة بحضرة هؤلاء؟ ماذا عسى أن تكون... فكيف بالذي ينظر إلى البلايا والرذائل؟

كان في دار مجاهد بن جبر علية غرفة في الأعلى قد بنيت، بقي ثلاثين سنة لم يشعر بها، ما علم بها، فأين هذا من الذي يتطلع وينظر هنا وهناك، يصعد إلى أعلى إذا كان في مكان أو في فندق أو لعله ينظر إلى عورة هنا، ينظر من النوافذ أو ينظر إلى الشاشات.

وابن سيرين انظروا إلى هذا النموذج الرائع النظيف الطاهر، يقول: إني لأرى المرأة في منامي فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري.

الربيع بن خثيم يقول عنه ابن مسعود ﷺ: أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك، كان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة، لا تظن جارية لابن مسعود إلا أنه أعمى لشدة غض بصره وطول إطراقه إلى الأرض بنظره، كان إذا دق الباب عليه تخرج الجارية، فإذا رأته قالت لابن مسعود: صاحبك الأعمى قد جاء، واستأذن على ابن مسعود فخرجت عليه جارية حسناء فغمض عينيه فقالت: على الباب رجل أعمى يقول أنا الربيع بن خثيم، فقال: ليس بأعمى وإنما غض بصره.

هناك نماذج معاصرة، من هذه النماذج: هذا رجل من المسلمين جنوب شرق آسيا يعمل في بعض الدول الأوربية في نيوزلندا، ملكة جمال نيوزلندا كان الرجل يعمل في محطة وقود، فكانت تمر به إلى هذه المحطة ولا ينظر إليها، فتكرر ذلك كثيرا، فنزلت وجهت إليه لوما شديدا لأنه لا يلتفت إليها، وسألته من أنت ومن تكون؟ فقال: أنا مسلم لا يجوز لي إطلاق البصر، فتعجبت منه، كل أحد يريد أن يلتقط معها صورة وأن ينظر إليها يسارق





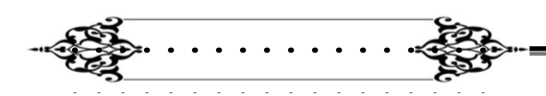

النظـر أو ينظـر مبـاشرة، فتعجبـت مـن هـذا العفـاف، فسـألته عـن دينـه، ثـم بعـد ذلـك عرضـت عليه أن يتزوجها فدخلت في الإسلام وتزوجها هذا الرجل وهو عامل في محطة وقود.

هنـاك أمثلـة أخـرى مشـابهة لهـذا لا أطيـل بهـا، لكـن عـلى كـل حـال نقـول اخـتر لنفسـك، فهـذه النـواظر هـي صـوارم سـيوف مشـهورة فأغمـدها في غمـد الغـض والحيـاء مـن نظـر الله تبـارك وتعـالى وإلا جرحـك بهـا عـدوك، فـإطلاق البصرـ يـورث الـردى ويوصـل إلى القبـائح، ينبغـي عـلى العبـد أن يختـار، يـا راميـا بسـهام اللحـد مجتهـدا أنـت القتيـل بـما ترمـي، فـلا تـو... احـبس رسـوله لا يأتيـك بالعطـب فـارج الشـفاء بأحـداق بهـا مـرض، فهـل سـمعت بـبرء جـاء من عطب.

وتـأملوا أخـيرا في قولـه تبـارك وتعـالى في حـق المؤمنـات: **{وَقُـل لِّلْمُؤْمِنَـاتِ يَغْضُضْـنَ مِـنْ أَبْصَـارِهِنَّ}** يعنـي بـألا يمعـن بـالنظر إلى الرجـال فـإن ذلـك يغـريهن بالفتنـة، وهـذا يـدعون إلى أمـر، هنـا أطلـق في هـذا الأمـر بالنسـبة للنسـاء كـما قـال في الرجـال تمامـا، **{وَقُـل لِّلْمُؤْمِنَـاتِ يَغْضُضْـنَ مِـنْ أَبْصَـارِهِنَّ}** ولهـذا فهـم بعـض اهـل العلـم مـن الفقهـاء مـن الشـافعية والحنابلـة، وذهـب إلى هـذا جماعـات مـن المفسرـين وبعـض العلـماء المعـاصرين إلى أن المـرأة كالرجـل في النظـر، أن لهـا الأولى وعليهـا الثانيـة، وأنهـا مـأمورة بغـض البصرـ ولا يجـوز لهـا إطلاقـه، ومـن أشـهر القـائلين بهـذا الحـافظ ابـن عبـد الـبر، قـال ذلـك في كتـاب التمهيـد وفي كتـاب الاسـتذكار وقال به آخرون.

وقـد ذكـر بعـض أهـل العلـم المعـاصرين أن النظـر إلى الممثلـين والمنشـدين وإلى مقـدمي الـبرامج، بـل إلى مـن قـد يقـدم بعـض الـدروس أو المحـاضرات أو الأمـور المفيـدة في القنـوات قـد يكـون النظـر إليـه فتنـة لأن الغالـب أن هـؤلاء يخرجـون بـأبهى حلـة، فهـو يحسـب كـل حركـة والتفاتـة ونظـر عـين، ويحسـب أيضًـا حركـة الشـفاه كيـف يحركهـا وكيـف يحـرك يـده ومـا إلى ذلـك بطريقـة في غايـة الدقـة، فهـذه التـي تطيـل النظـر تنظـر إلى بعـض هـؤلاء وبعضـهم قـد يكـون قـد امـتلأ شـبابا وحسـنا ونضـارة، ثـم لـربما قارنـت بـه مـن زوجـه ونحـوه فـترى هنـاك فصـاحة البيـان





واللطف في العبارات وأناقة المظهر ونضارة الشباب فيكون ذلك سببا للفتنة، هنا ينبغي الحذر وأن المسألة ليست محل اتفاق أن المرأة يرخص لها بالنظر إلى الرجال من غير شهوة.

أما نظرها إلى الرجال الأجانب بشهوة فإن هذا محرم باتفاق، بإجماع أهل العلم، هذا لا شك فيه، إذا كانت تنظر وتلذذ بهذا النظر، أو تتفرس في تقاطيع وجهه وملامحه ... الحسن والجمال فيه فهذا لا يجوز، وأما إذا كان نظر المرأة هو النظرة الأولى فإن هذا معفو عنه، أما إذا نظرت إلى الأجنبي لحاجة كما لو نظرت لعلاج اضطرت إليه أو نحو ذلك مما يتصل بشهادة أو نحو هذا فهذا من النظر المعفو عنه، وكذلك نظر المرأة إلى الخاطب، فكما ينظر إليها تنظر إليه، وهذا معفو عنه ومباح.

أما إذا كان يخشى من هذا النظر فوران الشهوة فإنه يجب تركه، لكن العلماء اختلفوا في حال كون الفتنة مأمونة هل تكون كالرجل أم أن نظرها أوسع من نظر الرجل، هذا فيه خلاف معروف، ومن ذكرتهم أو أشرت إليهم إجمالا وذكرت منهم الحافظ ابن عبد البر يقولون لها الأولى وعليها الثانية.

أما أؤكد هذا لأننا في هذا العصر أصبحت المرأة تنظر وهي في بيتها نظرا طويلا يدوم ساعات إلى هذه الشاشة، فهذا الأمر لا إشكال فيه ولا غضاضة فيه ولا حرج إطلاقا أيا كان هذا المنظور إليه، هذا النظر لا تؤمن عواقبه في كثير من الأحيان، ولهذا بعض النساء تصرح بأنها مفتونة بفلان أو فلان قد يكون فلان هذا من مقدمي البرامج.

قد يكون منشدا، قد يكون داعية، قد يكون طالب علم تعجب بكلامه وتعجب بمنطقه أو بحركاته أو بشكله، صورته، بلباسه وأناقته، كله وارد، فإذا كان هذا النظر بهذه المثابة يورث هذه النتائج هذا لا يجوز، فينبغي الاحتراز، ينبغي على الأخوات أن يحفظن أبصارهن وألا يطلن النظر إلى هذه الشاشات، لكن يمكن أن تسمع من غير إطلاق البصر خاصة إذا كان هذا المنظور إليه لا يخلو من فتنة، لا تظن أن الأمر لا حرج فيه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعني وإياكم بما سمعنا وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



